(356) سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون (19) آية اخبر ا تعالى في هذه الاية انه لم يكن الناس فيما مضى الا امة واحدة والامة الجماعة التي على معنى واحد في خلق او ما يستمر على عبادته بالظاهر، فعلى هذا الناس أمة والطير أمة. والمراد - ههنا - أنها كانت على دين واحد. واختلفوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه قبل حدوث الاختلاف بينهم على قولين: فقال الحسن كانوا على الشرك كما قال تعالى " كان الناس أمة واحدة فبعث ا النبيين مبشرين ومنذرين " (1) وقال الزجاج: أراد بذلك العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي (صلى ا عليه وآله) فانهم كانوا مشركين، فلما بعث النبي آمن به قوم وكفر به آخرون. وقال الجبائي: انهم كانوا على الاسلام، في عهد آدم وولده وأنكر الاول. قال لان ا تعالى قال " فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " (2) فلو كانوا كلهم على الكفر لما كان فيهم شهيدا أصلا قال الرماني: لا يمتنع ان يكون الامر على ما قال الحسن ويكون المراد التغليب كأن المسلمين كانوا قليلين، فلا يعتد بهم، فيجوز أن يقال فيهم أنهم امة مشركة كما روي عن النبي (صلى ا عليه وآله) أنه قال (ان ا نظر إلى اهل الارض فمقتهم الا بقايا من أهل الكتاب). وقال مجاهد: فاختلفوا حين قتل ابن آدم أخاه. والاختلاف هو الذهاب في الجهتين فصاعدا من الجهات، وحد المختلفين ان لايسد احدهما مسد صاحبه فيما يرجع إلى ذاته كما لايسد السواد مسد البياض. وقوله " ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم " معناه لو لا كلمة سبقت من ربك من انه لايعاجل العصاة بالعقوبة انعاما عليهم في التأني بهم " لقضي بينهم " في اختلافهم بما يضطرهم إلى علم المحق من المبطل. وقيل معنى ذلك " لقضي بينهم " اي فصل بينهم بأن اهلك العصاة وانجى المؤمنين، لكنه أخرهم إلى يوم القيامة

---

(1) سورة 2 البقرة آية 213 (2) سورة 4 النساء آية 40 (*)